

شهر رمضان.. مدرسة الروح والفكر



شهر رمضان مدرسة تطهيرية تربوية، وهو أيضاً محطة تموين واستعداد ينطلق منها المؤمنون بركائز روحية زاخرة تؤهلهم لخوض غمار الحياة ومعتزك الصراع لسنة جديدة حتى إذا اشرفت ذخائرهم على النفاد أدركهم شهر رمضان آخر يتزودون منه مرة أخرى بطاقات معنوية جديدة تعينهم على مواصلة الحياة. الصيام أسلوب لتقوية الإرادة والمجابهة التي يبدىها الإنسان إزاء مطالبه الشهوانية والغريزية طاعة لأوامر الله، هو الأرضية لتقوية الإرادة وتتفاعل قوة الإرادة بدورها في مواقف مختلفة منها مجابهة وساوس الشيطان وهكذا قضايا الحياة المختلفة. فالصيام عامل رادع إزاء المعاصي فالتنبيه الخاص الذي يتسم به الصائم إثر دركه الصوم وضرورة ضبط الأعين والآذان واللسان والفكر وأعضاء الجسم عند أداء هذه الفريضة يعتبر بحد ذاته عملية تدريب مثمرة وتخطيط هادف لتجنب المعاصي والاستعداد لخوض حياة نزيهة في ما تبقى من السنة. والصيام عامل من عوامل كبح جماح الشهوة. وهذا واضح من إرشادات الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله: «فالصوم يميت هوى النفس وشهوة الطبع وفيه حياة القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التصرع والخشوع والبكاء...». بالإضافة إلى عشرات الروايات التي تحت الصائم على تلاوة القرآن والأدعية وأداء ما فات أو ما هو مستحب من الصلاة وكذلك النشاطات الخيرية، فإن الأجواء المعنوية المتأتية من أداء فريضة الصوم تضاعف رغبة الإنسان في تدارك نقائصه المعنوية وأداء المستحبات والإفادة من المضامين التربوية السامية للأدعية والإكثار من تلاوة القرآن والإيمان في آياته وبالإمكان ببساطة حفظ استمرارية هذه النعم المعنوية ببذل مجهود يسير للحفاظ على هذه المعنويات والمردودات التربوية الإيجابية على مرّ أيام السنة أيضاً.

وأخيراً، إن الصيام طريق لصقل القلوب حيث يسلب الشبع والتخمة قلب الإنسان صفاءه ورغبته في أداء العبادات. ولهذا يؤكد علماء الأخلاق في أحد أهم تعليماتهم حول تزكية القلوب وتنقيتها على قلة الأكل وتجنب التماذي في تناوله. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إياكم والبطننة فإنها مفسدة للبدن ومورثة للسقم ومكسلة عن العبادة». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً: «لا تميّتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب يموت كالزعر إذا كثر عليه الماء».

